

توجيه المعاني التفسيرية بالقواعد اللغوية عند ابن عثيمين
(نماذج مختارة من تفسير سورة البقرة)

Directing Interpretive Meanings with Linguistic Rules According to Ibn
Uthaymeen
(Selected Models from the Interpretation of Surat Al-Baqarah)

[10.35781/1637-000-126-002](https://doi.org/10.35781/1637-000-126-002)

د/ رحيمة عبد الله فرج الحربي

ملخص البحث:

من تفسيره لسورة البقرة؛ وذلك لسعة الدراسة، وكثرة القواعد، والاختلاف فيها. وقد توصل الباحث إلى أن من القواعد ما يمكن أن يعتبر قواعد كلية، ومنها ما يكون فرعياً، مع وجود اضطراب في استعمال بعض القواعد التي استعملت في توجيه بعض المعاني؛ بسبب وجود إشكالات فيه صياغة القاعدة، أو لخروج بعض الألفاظ عن القاعدة لأسباب عديدة.

الكلمات المفتاحية: توجيه، معاني، التفسير، القواعد، اللغة، ابن عثيمين.

يهدف هذا البحث إلى دراسة اللغوية التي استعملها ابن عثيمين في توجيه معاني القرآن الكريم، وبيان منهجه في ذلك، وفوائد توجيه المعاني التفسيرية بالقواعد اللغوية، من خلال التركيز على أبرز القواعد اللغوية التي استعملها، وبيان أقسامها، وإيضاح الإشكالات التي وقع فيها بعض من العلماء ممن استعمل القواعد اللغوية أو الأصولية في التفسير، وقد اتبع الباحث لتحقيق ذلك: المنهج الوصفي، والاستقرائي، إلا أنه اكتفى بحصر الدراسة عند ابن عثيمين، ونماذج مختارة

Directing Interpretive Meanings with Linguistic Rules According to Ibn Uthaymeen (Selected Models from the Interpretation of Surat Al-Baqarah)

Dr. Rahima Abdullah Faraj Al-Harbi

Abstract:

This research aims to examine the linguistic principles employed by Ibn 'Uthaymīn in directing the meanings of the Qur'anic text, clarifying his methodological approach, and highlighting the benefits of interpreting Qur'anic meanings through linguistic rules. The study focuses on the most prominent linguistic principles he used, their classifications, and the challenges faced by some scholars who applied linguistic or legal principles in exegesis.

To achieve this, the researcher adopted both descriptive and inductive methodologies, confining the study to Ibn 'Uthaymīn's interpretation and selected examples from his commentary on Sūrat al-Baqarah, due to the vast scope of the subject, the multitude of principles involved, and the variance in their application.

The study concludes that some linguistic principles can be considered foundational and comprehensive, while others are subsidiary. It also identifies inconsistencies in the application of certain rules in guiding interpretations—often resulting from issues in the formulation of the rules themselves or due to specific expressions deviating from the norm for various reasons. The researcher recommends further study of the general formulations of the linguistic principles employed in tafsīr, with an emphasis on refining their structure and limits, as well as examining the factors contributing to inconsistencies in their use.

Keywords: Interpretation, Meaning, Tafsīr, Linguistic Principles, Language, Ibn 'Uthaymīn.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد:

علم التفسير وما يلحق به من العلوم مدخل عظيم لفهم كلام رب العالمين، والعمل بمقتضى هذا الفهم، وعلى هذا الأصل قرر العلماء أصولاً وقواعداً لتفسير القرآن وفهم معانيه، منها ما هو متفق عليه، كتفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، ومنها ما هو مختلف فيه كاللغة، التي اشترطوا للتفسير باللغة شروطاً، وقيدوها بقيود من أبرزها موافق اللسان العربي، وعدم مخالفة أصول الشريعة ومقاصدها، ومن هنا برز طائفة من العلماء عنوا باللغة ووضع له القواعد الضابطة للعمل بها في تفسير القرآن، كابن جرير الطبري، والزجاج والنحاس، وأبي عبيد، وأبي حيان الأندلسي، والسمين الحلبي وغيرهم كثير، ومن المعاصرين ابن عثيمين -رحمه الله- الذي يعد من الأصوليين والفقهاء المعاصرين الذين فسروا القرآن الكريم؛ ولذلك رأيت أن أدرس توجيه المعاني القرآنية عنده وفق القواعد اللغوية، وبيان أثر ذلك في التفسير والدعوة، قد أسميت البحث: [توجيه المعاني التفسيرية بالقواعد اللغوية عند ابن عثيمين (نماذج مختارة من تفسير سورة البقرة)].

مشكلة البحث:

القواعد اللغوية والأصولية وقواعد التفسير لها أهمية كبيرة في ضبط المعاني وتقييمها، إلا إن اتساع هذا القواعد واختلاف العلماء في استعمالها فيه تنازع كبير؛ ومن هنا يتبين أهمية هذا الأشكال الذي سوف نحاول أن ندرسه ونلملم أطرافه ونمهد له من خلال سؤال هذا البحث، الذي يمكن صياغته على النحو الآتي:

- ما فائدة توجيه المعاني التفسيرية بالقواعد اللغوية، وكيف كان استعمال ابن عثيمين لها؟

ويتفرع عنه:

- ما أبرز القواعد اللغوية التي استعملها ابن عثيمين؟
- ما هي أقسام القواعد التي استعملها ابن عثيمين لتوجيه المعاني التفسيرية؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- 1- دور ابن عثيمين في المجال العلمي والتربوي، وعنايته بنشر الدعوة.
- 2- تعلق البحث بالقواعد اللغوية التي كثر فيها الاختلاف عند علماء اللغة والتفسير.
- 3- أهمية توجيه القواعد اللغوية وضبطها.
- 4- بيان المنهج التفسيري اللغوي عند ابن عثيمين.
- 5- إبراز دور القواعد اللغوية في توجيه المعاني التفسيرية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- 1- بيان منهج ابن عثيمين في توجيه المعاني التفسيرية بالقواعد اللغوية.
- 2- بيان أقسام القواعد اللغوية التي استعملها -رحمه الله- وبيان أثر ذلك في التفسير.
- 3- إيضاح الإشكالات التي وقع فيها بعض من العلماء ممن استعمل القواعد اللغوية أو الأصولية في التفسير.

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهجين الوصفي والاستقرائي؛ إذ عمد إلى توصيف القواعد اللغوية ذات الصلة بتوجيه المعاني التفسيرية، واستقراء تطبيقاتها في تفسير الشيخ ابن عثيمين. وقد حُصرَت الدراسة في نماذج مختارة من تفسيره لسورة البقرة، نظراً لسعة المادة العلمية وتنوع القواعد اللغوية وكثرة الخلاف فيها، مما استوجب الاقتصار على هذه السورة.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت الموضوع من ناحية توجيه القواعد وحصر الدارسة بابن عثيمين، وتحديدًا تفسيره لسورة البقرة.

هيكل البحث:

انقسمت خطة البحث إلى: مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

تمهيد: تعريف التوجيه والتفسير والقاعدة.

المبحث الأول: توجيه المعاني بقواعد اللغة اللفظية.

المبحث الثاني: توجيه المعاني بالقواعد النحوية.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

تمهيد: تعريف التوجيه والتفسير والقاعدة:

أولاً: معنى التوجيه:

التوجيه في اللغة: مشتق من الوجه، والوجه في المعاجم العربية يطلق على أشياء ومعان كثيرة. والتوجيه تفعيل، مصدر (وجّه) المزيد بتضعيف عينه، وهو في اللغة بمعنى: انقاد وأتبع، يقال: وجّه فلانٌ فلاناً، جعله يتجه اتجاهها معينا، ووجّه الشيء: جعله على جهة واحدة⁽¹⁾، قال ابن فارس: "الواو والجيم والهاء، أصل واحد، يدل على مقابلةٍ لشيء، والوجه مستقبلٌ لكل شيء، يقال: وجه الرجل وغيره، وربما عبر عن الذات بالوجه، وتقول: وجهي إليك، وواجهتُ فلان جعلت وجهي تلقاء وجهه، ومن الباب قولهم: هو وجهي بينُ الجاه، والوجهة: كل موضع استقبلته، قال الله تعالى: ﴿وَإِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلَاهَا﴾ [البقرة: 148]، ووجهتُ الشيء: جعلته على جهة، وأصل جهته وجهته، وتوجه الشيخ: ولى وأدبر، كأنه أقبل بوجهه على الآخر⁽²⁾.

التوجيه في الاصطلاح:

ورد مصطلح التوجيه في أكثر من علم، ويعرف وفق ذلك، وسنذكر بعضها على النحو الآتي:

التوجيه عند علماء النحو، عُرِف بأنه: "...ذكر الحالات والمواضع الإعرابية، وبيان أوجه كل منها، وما يؤثر فيها، وما يلزم ذلك من تقرير وتفسير، أو تعليل، أو استدلال، أو احتجاج".

(1) ينظر: المعجم الوسيط، قام بإخراجه نخبة من العلماء، مجمع اللغة العربية: (2/ 1015)

(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (ص1044-1055).

علم القافية: وهو رديف تعريفه عند النحاة، فقليل بأنه بيان: "حركة الحرف الذي قبل الروى الساكن، ويسمى الروى الساكن: المقيد"⁽³⁾.

علم القراءات، وهو أقرب التعاريف إلى توجيه اللغة والتفسير، وتعريفاته أكثر انضباطاً، فقد عرفه علماء توجيه القراءات بعدة تعريفات، أشهرها تعريف المهدي له بأنه: "علم يُبحث فيه عن معاني القراءات، والكشف عن وجوهها في العربية، أو الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبين فيها وجهها ومعناها"⁽⁴⁾.

وقيل هو: "فن يُعنى بالكشف عن وجوه القراءات، وعللها، وحججها، وبيانها، والإيضاح عنها"⁽⁵⁾، فتوجيه القراءات يدور حول بيان الوجه المقصود من القراءة، أو تلمُّس الأوجه المحتملة التي يجري عليها التباير القرائي في مواضعه، سواءً كانت هذه الوجوه، نقلية أم عقلية⁽⁶⁾.

فوائد علم التوجيه:

علم التوجيه من أهم صور تفسير القرآن، لما له من تأثير بالغ؛ لأهميته في فهم الفقه الإسلامي، واختلاف الأحكام الفقهية، وهذا طرف من إعجاز القرآن في معانيه، وأحكامه، ذلك أن تقلُّب الصورة اللفظية في بعض الحروف والكلمات، فيه زيادة معنى، أو دلالة على كثير من الأحكام التي استتبطها الفقهاء؛ لأن له أثر كبير في فهم الأحكام العقدية، فهي تحتوي على معان ذات دلالات دقيقة وعميقة ينبغي التنبيه لها والعمل على ما دلت عليه.

كما أن له أهمية كبيرة في توجيه القراءات القرآنية؛ لاعتبارها ركناً من أركان القراءة المقبولة الثالثة، أي: التواتر، وموافقة الرسم، وأن تكون موافقة لوجه من وجوه اللغة العربية، ويظهر أثر القراءات في علوم اللغة في سائر ميادين الدراسة اللغوية، والنحوية، والصرفية، والصوتية، والدلالية، فالقراءات المتواترة تعلق الحديث الشريف، والشعر، والنثر، في صحة الاستشهاد بها، والاستناد إليها في إثبات سلامة التعبير، وفي إمكانية اتخاذها مركزاً لتحقيق التيسير، ودليلاً لتصحيح كثير من العبارات والاستعمالات.

(3) البناء العروضي للقصيد العربية، لمحمد حماسة: (ص: 211)، موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع د/ شعبان صلاح، (ص: 270)، لسان العرب لابن منظور: (6/ 4777).

(4) شرح الهداية، للمهدي: (1/ 24-27)

(5) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د/ أحمد سعد: (ص 22-23)

(6) ينظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د/ أحمد محمد: (ص 22 . 23)

ربط الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم من الناحية اللغوية، كما هي مرتبطة به من الناحية التشريعية، حتى تشعر بأن القرآن يخاطبها بلغتها ولهجتها، وفي هذا شرف عظيم لها، فيحفزها للانضواء تحت لوائه⁽⁷⁾.

ثانيا: تعريف التفسير:

التفسير في اللغة: "الكشف والإبانة، والفسر: البيان، فسر الشيء يفسره - بالكسر- ويفسره - بالضم - فسراً، وفسره: أبانه، والتفسير مثله، وقيل: التفسير والتأويل بمعنى واحد⁽⁸⁾، والفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردُّ أحد المُحتمَلين إلى ما يطابق الظاهر"⁽⁹⁾.

والتفسير في الاصطلاح له عدة تعاريف منها:

إلا أن بعض المفسرين عرف تفسير القرآن بعدة تعاريف منها:

عرف أبو حيان بأنه: "علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاته، وأحكامه الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت ذلك"⁽¹⁰⁾.

عرفه الزركشي بأنه: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"⁽¹¹⁾.

ثالثاً: تعريف القواعد:

القاعدة لغة: الأساس وجمعها قواعد، يقال: قواعد البيت أي أساسه، وقواعد البناء أساسه وأصله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: 127]، وقوله تعالى: ﴿فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 26].

(7) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (318-335)، النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: (52/1 - 53).

(8) في المسألة خلاف واسع يعسر ذكره هنا، ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي (173/2)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (8-7/2).

(9) مختار الصحاح، للرازي (ص443)، لسان العرب، لابن منظور: (3413/3)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي: (108/2).

(10) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (121/1).

(11) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (13/1).

فالقاعدة هي أسس الشيء وأصوله الذي يبني عليه ذلك الشيء، سواء كان ذلك البناء حسي كقواعد الدار، أو معنوي كقواعد الدين⁽¹²⁾.

قال الزجاج في معنى القواعد: "...أساطين البناء التي تعمد، وقواعد الهودج خشبات أربع معترضة في أسفله تُركَّب عيدان الهودج فيها"⁽¹³⁾.

قال أبو عبيد: "قواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء، شُبَّهت بقواعد البناء"⁽¹⁴⁾.

ومن معاني القاعدة في اللغة: الضابط، أي: "الأمر الكلي ينطبق على جزئيات"⁽¹⁵⁾

أما اصطلاحاً: فعرّفها علماء أصول الفقه تعريفاً يستوعب جميع ما يمكن أن تعرف به من العلوم، فقالوا هي: (قضية كلية تنطبق على جزئياتها)⁽¹⁶⁾. فهي قضية كلية -من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعا، واستخراجها منها تفرعاً كقولنا: كل إجماع حق وهي تجمع فروعا من أبواب شئ⁽¹⁷⁾.

فمن نظر إلى أن القاعدة هي قضية كلية عرفها بما يدل على ذلك حيث قالوا في تعريفها: القاعدة بأنها: الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها⁽¹⁸⁾.

المبحث الأول: توجيه المعاني بقواعد اللغة اللفظية:

اللغة العربية هي المصدر الثالث بعد تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة، لأن القرآن نزل بلسان العرب، ولا يمكن الاستغناء عنها في فهمه، لا اتباع أي منهج لتفسيره إلا بها، فهي لا تعد مصدراً مستقلاً؛ إذ هي تدخل في كل المصادر⁽¹⁹⁾، إلا أنه هذا القول ليس على إطلاقه، فاللغة -أي: لغة- لها قواعدها وأساليبها التي لا يمكن الإخلال بها، وإلا لما تبين العالم من الجاهل، وعلى هذا اصطلاح أهل

(12) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (903/3)، مختار الصحاح، للرازي (18/1)، مادة: أسس، و (257/1)، مادة: ق ع د.

(13) معاني القرآن وإعراجه، للزجاج: (3/ 195)

(14) ينظر: تهذيب اللغة، للهروي: (1/ 137)

(15) موسوعة القواعد الفقهية: (1/ 1/ 19)

(16) ينظر: الموافقات، للشاطبي: (1/ 24).

(17) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي: (1/ 728).

(18) ينظر: الأنشاه والنظائر، للسبكي: (1/ 11)، ولها تعاريف أخرى.

(19) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، لأبي زهرة: (ص: 397)

الإسلام، أي: على قواعد اللغة التي يفهم بها لسان العرب، ويفسر بفقهها القرآن، قال الذهبي: "...فمعرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها، تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب"⁽²⁰⁾.

والمراد بتفسير القرآن باللغة: بيان معاني القرآن بمدلول مضمراته وتراكيبه في لغة العرب⁽²¹⁾، وفق ضوابط وقواعد متفق عليها، وسأبين بعضها من خلال ما قرره ابن عثيمين -رحمه الله- في تفسيره، وسأكتفي بنماذج مختارة من سورة البقرة، وتوجيهها، وهي على النحو الآتي:

القاعدة الأولى: يعتبر في التفسير الأخذ بمطلق اللغة⁽²²⁾.

وذلك أن القرآن أنزل بلسان عربي، قال تعالى: ﴿يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:195] وقد استعمل ابن عثيمين -رحمه الله- هذه القاعدة الكلية في كثير من المواضع، وخاصة عند توجيه المشكل من غريب القرآن، ومن ذلك ترجيحه أن معاني الحروف المقطعة يراد به حروف الهجاء التي يتألف منها كلام العرب، قال: "...وأصح الأقوال فيها القول الثاني؛ وهو أنها حروف هجائية ليس لها معنى على الإطلاق؛ وهذا مروى عن مجاهد؛ وحجة هذا القول: أن القرآن نزل بلغة العرب؛ وهذه الحروف ليس لها معنى في اللغة العربية، مثل ما تقول: ألف؛ باء؛ تاء؛ ثاء؛ جيم؛ حاء... فهي كذلك حروف هجائية"⁽²³⁾.

والحكمة من ورودها في القرآن الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن، وأنه لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر؛ وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر؛ ومع ذلك فقد أعجزهم⁽²⁴⁾.

القاعدة الثانية: يعتبر التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة المنزع⁽²⁵⁾.

ويراد بهذه القاعدة معرفة تأويل القرآن -تفسيره- وفق ظاهر القرآن أو ألفظه المشتهرة عند العرب، ويؤيد هذه القاعدة صريح القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:2]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [طه:113]، وفي قوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر:28]، وفي قوله: ﴿كُتِبَ فَصِّلْتُ عَنْهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت:3]،

(20) التفسير والمفسرون، للذهبي: (1/ 45)

(21) ينظر: التحرير في أصول التفسير، لمساعد الطيار (ص: 177)

(22) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: 660)

(23) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (1/ 22)

(24) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (1/ 23).

(25) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: 660)

وغيرها من الآيات، فقولُه: (أَنزَلْنَا قرآنًا عربيًّا) أي بلغة العرب؛ ليضهموه⁽²⁶⁾، نسبه إلى العرب؛ لكونه نزل بلغتهم. والمعنى: أن القرآن نُزل بلغة العرب، فليس فيه شيء غير عربيٍّ. ولا يجوز حمل معانيه على ما في غير لغة العرب، قال الفخر الرازي: "...لأن القرآن نزل بلغة العرب، فلا يجوز حملها على ما لا يكون حاصلًا في لغة العرب"⁽²⁷⁾.

وتطبيقات هذه القاعدة عند ابن عثيمين وتوجيهه بها كثيرة جدا⁽²⁸⁾، منها:

توجيه معنى الظن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾ [البقرة: 46]

قال: "﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي يتيقنون؛ و (الظن) يستعمل في اللغة العربية بمعنى اليقين، وله أمثلة كثيرة؛ منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: 118]، وقوله تعالى: ﴿وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: 53]"⁽²⁹⁾.

يريد إن العرب قد تسمى اليقين: (ظنا)، وكذلك الشك: يسمى: (ظنا) أيضا⁽³⁰⁾، وهذا شائع في لسانهم، والمراد هنا الأول، دلّ عليه سياق الكلام، قال ابن جرير الطبري: "...والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن (الظن) في معنى اليقين أكثر من أن تحصي"⁽³¹⁾.

ولو حمل على الشك؛ ل كانوا شاكين حين يرون النار، وما أحد يقول ذلك، فدل على أنه أرد اليقين⁽³²⁾، ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: 249]؛ حيث ذهب أهل إلى اللغة وجمع من المفسرين إلى أنه بمعنى: يوقنون أنهم ملأوا الله، واحتجوا لذلك أنهم لو قالوا ذلك شاكين لكانوا ضللاً كافرين⁽³³⁾.

(26) أيسر التقاسير، للجزائري: (3/ 381)

(27) مفاتيح الغيب، للرازي: (2/ 255)

(28) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: 660).

(29) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (1/ 165)

(30) تفسير الطبري: (1/ 17).

(31) تفسير الطبري: (1/ 18)

(32) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (1/ 126)

(33) وذهب أهل التفسير أنها بمعنى الشك، والفرق أن أهل اللغة حملوا الظن على الإيمان بالله ولقائه، وأهل التفسير حملوا المعنى

على لقاء الموت والقتل في المعركة، وكلا القولين صحيح موافق للغة والتفسير، ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (1/ 331)،

التفسير البسيط (2/ 458) (2/ 462)، تفسير أبي السعود: (1/ 98)

تقييد معنى البعث بالإحياء في القرآن، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:56]، قال: "...أصل (البعث) في اللغة الإخراج؛ ويطلق على الإحياء، كما هذه الآية: ويدل على أن المراد به الإحياء هنا قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ﴾ وهو موت حقيقي، وليس نوماً؛ لأن النوم يسمى وفاة؛ ولا يسمى موتاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام:60]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الرُّم:42] [34]. حيث قيد معنى البعث، بالإحياء؛ لموافقته للسياق، وإن كان أصله في اللغة: الإرسال، وإثارة الشيء من محله [35].

تخصيص الاستعمال اللغوي: من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:58]، قال في تخصيص معنى القرية بأن المراد به في الآية: المدينة، وليس كما هو شائع بأنه البلد الصغير المشهور عرفاً: "...ومفهوم القرية في اللغة العربية غير مفهومها في العرف؛ لأن مفهوم القرية في العرف: البلد الصغير؛ وأما الكبير فيسمى مدينة؛ ولكنه في اللغة العربية -وهي لغة القرآن- لا فرق بين الصغير، والكبير؛ فقد سمي الله عز وجل مكة قرية، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنْهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد:13]

المراد بقريته التي أخرجته: مكة، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:7]: فسمى مكة أم القرى وهو شامل للبلاد الصغيرة، والكبيرة [36].

ولفظ القرية في اللغة يطلق على المصر الجامع، أي: الأبنية التي تجمع الناس [37]، وهي: كل مكان اتصلت به الأبنية وجعل قراراً، ويطلق على المدن وغيرها، وقيل: القرية أصغر من المدينة، والجمع: قري [38]، وسياق القرآن يفهم أن المراد المدينة، لا القري الصغيرة [39].

(34) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (1/ 192)

(35) تفسير الطبري: (2/ 84)، تهذيب اللغة، للهرودي: (2/ 201)

(36) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (1/ 199)

(37) ينظر: الكليات، للكفوي: (ص: 735)

(38) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، لفايز الداية: (3/ 249)

(39) ينظر: الكليات، للكفوي: (ص: 735)، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، لفايز الداية: (3/ 249)

القاعدة الثالثة: للعرف عبرة في معرفة المراد بالاسم:

العرف في اللغة العادة. والمراد به هنا: العرف اللغوي، أي: دلالة اللفظ في اللغة، وهذه القاعدة تبين الأثر الذي يعتد به لبيان معنى اللفظ -الاسم- المنطوق به، ومفاد القاعدة: أنه يعتد بالعرف اللغوي ودلالته من المقصود من إطلاق الاسم أو العبارة المنطوق بها إذ يُحَكَّم العرف في بيان المقصود⁽⁴⁰⁾.

أكثر ابن عثيمين من استعمال هذه القاعدة موجهاً بها معاني القرآن إما موافقاً أو رفضاً، ومن الأمثلة على ذلك من جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: 80]، قال: "... (الإحاطة) في اللغة: الشمول؛ و (أحاطت)، أي: صارت كالحائط عليه، وكالسور، أي: اكتفتها من كل جانب"⁽⁴¹⁾، وهذا هو المعنى العرفي للاسم وعليه حمل معنى الآية جميع المفسرين وأهل اللغة؛ وذلك أن الإنسان إذا ارتكب خطيئة أو ذنباً واستمر عليه استجره إلى معاودة ما هو أعظم منه، فلا يزال يرتقي حتى يطبع على قلبه، ويحيط به الذنب، فلا يقدر أن يخرج عن تعاطيه، فيكون سبباً في هلاكه⁽⁴²⁾.

وجاء نحو ذلك في قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: 102]، قال: "... (السحر) في اللغة هو كل شيء خفي سببه، ولطف؛ لأن البيان. وهو الفصاحة. يجذب النفوس، والأسماع... لكن ليس هو السحر الذي ورد ذمه؛ وإنما المراد بالسحر المذموم: عُمْد، ورُقَى ينفث فيها الساحر، فيؤثر في بدن المسحور، وعقله؛ وهو أنواع: منه ما يقتل؛ ومنه ما يمرض؛ ومنه ما يزيل العقل، ويخدر الإنسان؛ ومنه ما يغير حواس المرء، بحيث يسمع ما لم يكن، أو يشاهد الساكن متحركاً، أو المتحرك ساكناً؛ ومنه ما يجلب المودة؛ ومنه ما يوجب البغضاء؛ المهم أن السحر أنواع؛ وأهله يعرفون هذه الأنواع"⁽⁴³⁾.

(40) ينظر: موسوعة القواعد الفقهية (8/ 737)

(41) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: (1/ 261)

(42) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: (ص: 265) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (2/

126).

(43) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (1/ 328)

- القاعدة الرابعة: تفسير القرآن باللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر والأفصح، دون الشاذ أو القليل⁽⁴⁴⁾.

قال في توجيه معنى (يتربصن) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 228]، قال: "... (يتربصن بأنفسهن) أي: ينتظرن في العدة، ويحسبن أنفسهن عن الزواج؛ لأن المرأة بطبيعتها تطلب النكاح؛ فقيل لها: تربصي بنفسك، انتظري... وأما قول من قال: إن (أنفسهن) تأكيد للفاعل في (يتربصن) زيدت فيه الباء، وجعل معنى الآية: يتربصن أنفسهن؛ فهذا ليس بصحيح؛ لأن الأصل عدم الزيادة؛ ولأن مثل هذا التعبير شاذ في اللغة العربية؛ فلا يحمل كلام الله على الشاذ⁽⁴⁵⁾. وقد بين أسباب شذوذ المعنى، بتكلف الزيادة، والتكلف في التأويل، وهذان العاملان مخالفان لما عليه لسان العرب؛ لأن فيه ترك للظاهر الأفصح والأبين،

فهو - رحمه الله - يردد على بعض النحاة الذين جعلوا قوله: (بأنفسهن) تأكيداً لضمير المطلقات، فجعلوا الباء زائدة، على التوكيد المعنوي، وممن رد الذي المعنى لشذوذه أيضاً: ابن عطية التحرير والتتوير، قال: "... وَرَدَّ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ بَأَنَّ حَقَّ تَوْكِيدِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ذِكْرِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ أَوْ بِفَاصِلٍ آخَرَ"⁽⁴⁶⁾.

ومن المعاني التي ردها لمخالفة الأشهر والأفصح، ما جاء في بيان المراد بأقل صيغ الجمع في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: 38]، قال: "...الواو ضمير جمع، وعبر به عن اثنين؛ لأن آدم، وحواء، هما أبوا بني آدم؛ فوجه الخطاب إليهما بصيغة الجمع باعتبارهما مع الذرية؛ هذا هو الظاهر، وأما حمله على أن أقل الجمع اثنين، وأن ضمير الجمع هنا بمعنى ضمير التشية فبعيد؛ لأن كون أقل الجمع اثنين شاذ في اللغة العربية؛ وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: 4]، فإن الأفصح في المتعدد إذا أضيف إلى متعدد أن يكون بلفظ الجمع. وإن كان المراد به اثنين؛ و ﴿جميعاً﴾⁽⁴⁷⁾.

(44) مختصر في قواعد التفسير، لخالد السبت: (ص: 7)

(45) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (3/ 98، 154 - 155)

(46) التحرير والتتوير، لابن عاشور (2/ 390)

(47) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (1/ 137)

ووافقته الرازي⁽⁴⁸⁾، وهو المختار عند جمهور علماء الأصول، والمشكل في المسألة مجيء النضير بصيغة الجمع في قوله: ﴿اهبطوا﴾، وبصيغة التثنية في سورة طه في قوله: ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: 38]، وأتبع صيغة التثنية بصيغة الجمع في قوله ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: 38]، قال الشنقيطي: "...وأظهر الأجوبة عندي عن ذلك: أن التثنية باعتبار آدم وحواء فقط، والجمع باعتبارهما مع ذريتهما. خلافا لمن زعم أن التثنية باعتبار آدم وإبليس، والجمع باعتبار ذريتهما معهما، وخلافا لمن زعم أن الجمع في قوله: اهبطوا مراد به آدم وحواء وإبليس، والحية. والدليل على أن الحية ليست مرادة في ذلك هو أنها لا تدخل في قوله فإما يأتينكم مني هدى لأنها غير مكلفة"⁽⁴⁹⁾.

ولو تأملنا قول ابن عثيمين لوجدنا أنه موافق لقول جمهور المفسرين، إلا أن قوله بأن: "...حمله على أن أقل الجمع اثنين، وأن ضمير الجمع هنا بمعنى ضمير التثنية فبعيد؛ لأن كون أقل الجمع اثنين شاذ في اللغة العربية"⁽⁵⁰⁾، فغير دقيق، لأنني وجدت كثيرا من المفسرين يذكرون هذه القاعدة استدلالا على مسائل عدة في التفسير⁽⁵¹⁾، وإن كان القول بأن أقل الجمع ثلاثة مقديما، إلا أن ما ذهب إليه أبو بكر الباقلاني وطائفة من العلماء إلى أن أقل الجمع اثنين، له وجه لا يصير به شاذًا، فقد احتجوا له بعدة شواهد تحتمل الصواب، منها: قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: 4]، قالوا: وليس للمخاطبتين بهذا إلا قلبان، ويقولون - تعالى -: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ ائْتَنَيْنِ﴾ [النساء: 11]، قال ابن عطية: "...وذكر المفسرون أن العرب قد تأتي بلفظ الجمع وهي تريد التثنية"⁽⁵²⁾. ولا يخفى ما في المسألة من خلاف، ليسحق تفصيله هنا⁽⁵³⁾.

ونحو هذا الإشكال تكرر في موضع آخر كما في توجيه معنى الكرسي في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]، حيث ضعف استعمال الأصل اللغوي مع شهرته، حيث قال: "...وقد قيل: إن (الكرسي) هو العرش؛ ولكن ليس بصحيح؛ فإن (العرش) أعظم، وأوسع، وأبلغ إحاطة من الكرسي؛ وروي عن ابن عباس أن (كرسيه): علمه؛ ولكن هذه الرواية أظنها لا تصح عن ابن عباس؛ لأنه لا يعرف هذا المعنى لهذه الكلمة في اللغة العربية، ولا في

(48) تفسير الرازي: (3/ 463 - 464)،

(49) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: (4/ 120)

(50) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (1/ 137)

(51) ينظر: تفسير الطبري (7/ 41) ولكنه بين أن وقوع الاثنين موقع الجمع يرجع إلى استفاضة استعمال العرب له. وهو مذهب مالك ابن أنس وغيره. ينظر: تفسير ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 181) وغيره.. وهو أيضا ظاهر استعمال القرآن في مواضع عدة، وعليه فيرى الباحث أن قاعدة أقل الجمع اثنان ليست شاذة. والله أعلم.

(52) تفسير ابن عطية: (2/ 17)، وينظر: تفسير الرازي: (8/ 301)

(53) مؤسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي الغزي (1/ 1/ 211)

الحقيقة الشرعية؛ فهو بعيد جداً من أن يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فالكُرسي موضع القدمين⁽⁵⁴⁾.

وهذا القول صحيح من وجه الاستعمال الشرعي، فإن المراد بالكُرسي: موضع القدمين، ويفهم منها إثبات عدة صفات عند أهل السنة، إلا إنكار المعنى اللغوي للكُرسي غير دقيق، وقد نص على معناه في هذا الآية كثير من المفسرين، وجعله بعضهم بمعنى العلم، وقد ذكر ابن جرير الطبري ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما⁽⁵⁵⁾، وسعيد بن جبير⁽⁵⁶⁾، قال الشوكاني: "...الكُرسي: الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته، كما سيأتي بيان ذلك، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطأوا في ذلك خطأً بيناً، وغلطوا غلطاً فاحشاً، وقال بعض السلف: إن الكُرسي هنا: عبارة عن العلم، قالوا: ومنه قيل للعلماء: الكُراسي"⁽⁵⁷⁾.

المبحث الثاني: توجيه المعاني بالقواعد النحوية:

القاعدة الأولى: الاستثناء قولٌ مُتَّصِلٌ بِإِلَّا أو إحدى أخواتها على أن المذكور معه غير مراد بالقول الأول⁽⁵⁸⁾.

حدَّ الاستثناء في اصطلاح كثير من النحاة والأصوليين، بأنه: (الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها ما لولاه لدخل في الكلام السابق)⁽⁵⁹⁾.

ومن تطبيقات هذه القاعدة عند ابن عثيمين - رحمه الله - ما جاء في توجيه الاستثناء المتصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159-160]

(54) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (3/ 254 - 255)

(55) ينظر: تفسير الطبري (5/ 397)

(56) ينظر: تفسير سفيان الثوري (ص: 71)

(57) فتح القدير، للشوكاني: (1/ 312).

(58) ينظر: فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، أحمد الحازمي: (ص: 554)

(59) المرجع السابق

قال: "... ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: الاستثناء هنا متصل؛ لأنه استثناء من الكاتمين؛ يعني إلا إذا تابوا؛ و (التوبة) في اللغة الرجوع؛ وفي الشرع: الرجوع من معصية الله إلى طاعته؛ والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن كتمان ما أنزل الله إلى بيانه، ونشره" (60).

وذهب بعض النحاة إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأن الذين كتموا لعنوا قبل أن يتوبوا، وإنما جاء الاستثناء لبيان قبول التوبة لا لأن قوما من الكاتمين لم يلعنوا (61)، والظاهر أن الاستثناء متصل؛ لأنه مشروط بالتوبة، والتوبة لا تنقطع إلا بالموت والغرغرة؛ ولذلك علل ابن عثيمين الاتصال بقولها، والرجوع عن الكتمان، وبيان الحق (62)، قال أبو حيان: "... ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: هذا استثناء متصل، ومعنى تابوا عن الكفر إلى الإسلام، أو عن الكتمان إلى الإظهار. وأصلحوا ما أفسدوا من قلوبهم بمخالطة الكفر لها، أو ما أفسدوا من أحوالهم مع الله، أو أصلحوا قومهم بالإرشاد إلى الإسلام بعد الإضلال. وبينوا: أي الحق الذي كتموه..." (63).

القاعدة الثانية: تأتي (لو) على ثلاثة أضرب: شرطية، ومصدرية، وللتمني (64):

هذه قاعدة عامة في الحالات التي وردت في اللغة في استعمال (لو)، ووجه تطبيق القاعدة وترجيح أنها للتمني، في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 102]، نصب الفعل بعدها، واقتران جوابها بالفاء، قال المرادي (ت: 749هـ): "...ولذلك ينصب الفعل بعد الفاء في جوابها، كما ينصب في جواب (ليت) كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ﴾ [الشعراء: 102]" (65).

وهو الذي ذهب إليه ابن عثيمين في بيان معنى الآية، قال: "...لو أن لنا كرة فنتبأ منهم: (لو) هنا ليست شرطية؛ ولكنها للتمني؛ يعني: ليت لنا كرة فنتبأ؛ والدليل على أنها للتمني أن الفعل نصب بعدها؛ وهو منصوب بـ (أن) المضمرة بعد الفاء السببية؛ و «لو» تأتي في اللغة العربية على ثلاثة أوجه: تكون شرطية؛ وتكون للتمني؛ وتكون مصدرية" (66).

(60) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (2/ 196)

(61) إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، للعكبري: (1/ 71)

(62) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (2/ 71)، التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: (1/ 131)

(63) البحر المحيط، لأبي حيان: (2/ 70)

(64) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي: (3/ 1295)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (4/ 47)

(65) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي: (3/ 1295).

(66) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (2/ 230)

القاعدة الثالثة: العطف يقتضي المغايرة ما لم تقم قرينة على خلافه⁽⁶⁷⁾

حروف العطف تقتضي أن يتبع ما بعدهن ما قبلهن من الأسماء والأفعال في إعرابها⁽⁶⁸⁾. وعطف النسق: يراد به: الجمعُ بين الشيئين أو الأشياء في الإعراب والمعنى، أو الإعراب دون المعنى⁽⁶⁹⁾، إلا أن هناك استثناءات تختلف باختلاف أحرفه، واختلاف القرينة، فأما المعاني والإعراب فبيانها في كتب النحو واضح التفصيل، وأما القرينة فهي تعتمد على قدرة المفسر أو النحو على استقرارها، وبيان إمكان صرف المعاني عن ظاهرها أم لا، وقد استعمل ابن عثيمين -رحمه الله- هذه الوجه من صرف القرينة عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢١٨﴾ [البقرة: 218]، قال: "... معطوفة على ما سبق من باب عطف الصفات، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤﴾ [الأعلى: 1-4]؛ فهذه المعطوفات من باب عطف الصفات؛ لأن الموصوف بها واحد"⁽⁷⁰⁾. أي: المؤمنين، الذين آمنوا، وصدقوا إيمانهم بالهجرة⁽⁷¹⁾، وقد بين أبو حيان القرينة، قال: "... لأن اسم الإشارة هو المتضمن الأوصاف السابقة من الإيمان والهجرة والجهاد، وليس تكريرا لموصولٍ بالعطف مشعرا بالمغايرة في الذوات، ولكنه تكرير بالنسبة إلى الأوصاف، والذوات هي المتصفة بالأوصاف الثلاثة، فهي ترجع لمعنى عطف الصفة بعضها على بعض للمغايرة، لا: (إن الذين آمنوا)، صنف وحده مغاير: للذين هاجروا وجاهدوا"⁽⁷²⁾.

(67) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للمرادي: (1/ 223)، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، للعلائي: (ص: 142)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، للجرجاني: (1/ 232)، النحو الوافي، عباس حسن: (1/ 530).

(68) الأصول في النحو، لابن السراج: (2/ 55)

(69) اللحة في شرح الملح، للصايغ: (2/ 689)

(70) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (3/ 62)

(71) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: (1/ 309)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (11/ 164)، إعراب القرآن وبيانه، درويش: (1/ 323).

(72) البحر المحيط، لأبي حيان: (2/ 395)

القاعدة الرابعة: جواب الشرط يلي المشروط مباشرة⁽⁷³⁾:

أسلوب الشرط: هو أسلوب يربط بين حدثين بأداة شرط بحيث يكون أحدهما سبب والآخر نتيجة له، أي: تعليق جملة بجملة بأداة، على وجه يفهم منه أن حصول الثانية موقوف على حصول الأولى، والغالب يتبع جواب الشرط فعل الشرط مباشرة؛ فلا يفصل بينهما إلا للضرورة، أو غرض بلاغي أو نحوي، بشرط ألا يؤدي الفصل إلى غموض أو إبهام⁽⁷⁴⁾.

وهذا المعنى العام هو الذي أشار إليه ابن عثيمين - رحمه الله - واحتج به في توجيه المعاني في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ ۚ﴾ [البقرة: 17]

قال - رحمه الله -: "...﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ أي أنارت ما حول المستوفد، ولم تذهب بعيداً لضعفها؛ ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ يعني: وأبقى حرارة النار؛ و "لما" حرف شرط، و "...﴿أَضَاءَتْ﴾ فعل الشرط؛ و ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جواب الشرط؛ والمعنى: أنه بمجرد الإضاءة ذهب النور؛ لأن القاعدة أن جواب الشرط يلي المشروط مباشرة"⁽⁷⁵⁾، ووجه الاحتجاج الرد بها على من قال بأن جواب الشرط محذوف، قال السمين الحلبي: "...قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ هذه الجملة الظاهر أنها جوابٌ «لَمَّا». وقال الزمخشري: "جوابها محذوف، تقديره: فلما أضاءت خمدت"⁽⁷⁶⁾، وجعل هذا أبلغ من ذكرِ الجواب، وجعل جملة قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ مستأنفة أو بدلاً من جملة التمثيل. وقد ردَّ عليه بعضهم هذا بوجهين أحدهما: أن هذا تقديرٌ مع وجود ما يُغني عنه فلا حاجة إليه، إذ التقديرات إنما تكون عند الضرورات. والثاني: أنه لا تُبدل الجملة الفعلية من الجملة الاسمية. و«بنورهم» متعلقٌ ب «ذَهَبَ»، والباء فيها للتعدية، وهي مرادفة للهمزة في التعدية، هذا مذهب الجمهور"⁽⁷⁷⁾.

(73) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (1/ 62)

(74) ينظر: المقتضب، للمبرد: (2/ 184)

(75) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (1/ 62)

(76) هذا الكلام نسبة السمين للزمخشري، وليس بنصه، ولكنه بالمعنى، ينظر: الكشاف، الزمخشري (1/ 73)

(77) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (1/ 162)

الخاتمة

وتشمل النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج:

- 1- تنوعت القواعد اللغوية التي استعملها ابن عثيمين وانقسمت إلى قواعد لغوية، وقواعد نحوية، وقواعد اشتركت صياغتها بين اللغة والنحو.
- 2- من القواعد التي استعملها ابن عثيمين قواعد عامة يمكن أن تعتبر قواعد كلية، وهناك قواعد فرعية متنوعة.
- 3- كان هناك اضطراب في استعمال بعض القواعد التي استعملت في توجيه بعض المعاني؛ وذلك لوجود إشكالات فيه صياغة القاعدة، أو لخروج بعض الألفاظ عن القاعدة لأسباب عديدة.
- 4- من أبرز العوال المؤثرة في اضطراب التوجيه بالقواعد اللغوية، وجود احتمال في معاني القرآن، وتفرّد القرآن ببعض الاستعمالات الشرعية التي غايرت الاستعمال اللغوي.

ثانياً : أهم التوصيات والمقترحات.

يوصي الباحث بالآتي:

- 1- دراسة الصيغ العامة للقواعد اللغوية المستعملة في التفسير، وضبط صياغتها وحدودها.
- 2- دراسة أقسام القواعد اللغوية الكلية والفرعية.
- 3- دراسة العوامل التي أثرت في اضطراب القواعد اللغوية المستعملة في التفسير.
- 4- دراسة الأساليب البلاغية التي أثرت في توجيه القواعد اللغوية المستعملة في التفسير.

المصادر والمراجع

1. الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الناشر: مطبعة حجازي، القاهرة - مصر، 1368هـ.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
3. الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1411هـ - 1991م.
4. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
5. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
6. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ.
7. إعراب القرآن، لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط2، 1405هـ - 1985م.
8. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (538 - 616 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1399 هـ - 1979 م.
9. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
10. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.
11. البحر المحيط، لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ - 1993م.

12. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار إحياء الكتب، ط1، 1957م.
13. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ - 1996م.
14. البناء العروضي للقصيدة العربية للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، 2008 م: (ص: 211).
15. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: 616هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
16. التحرير في أصول التفسير، أ.د/ مساعد الطيار، الناشر: مركز الدراسات، مركز الشاطبي، السعودية، ط5، 1440هـ - 2019م.
17. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
18. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي (ت: 741هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
19. تعدد التوجيه النحوي (مواضعه، أسبابه، نتائج)، د/ محمد صبرة، دار غريب، ط1، 2008 م.
20. التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت: 468هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1430هـ.
21. تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: 161هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ 1983 م.
22. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
23. التفسير والمفسرون، تأليف: د/ محمد حسين، الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط7.
24. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
25. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د/ أحمد سعد محمد، رسالة دكتوراه، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة.

26. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: 749هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى 1428هـ - 2008م.
27. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.
28. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
29. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، المحقق: د/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
30. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: 769هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون 1400 هـ - 1980م.
31. شرح أبيات سبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرا في (المتوفى: 385هـ)، المحقق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 1394هـ - 1974م.
32. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: 905هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م.
33. شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدي (ت: 440هـ)، تحقيق: د/ حازم سعيد حيدر، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ.
34. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
35. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي، الشوكاني (ت: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414 هـ.

36. فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أب القلاوي الشنقيطي)، مؤلف الشرح: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م.
37. الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلاني (المتوفى: 761هـ)، المحقق: حسن موسى الشاعر، الناشر: دار البشير - عمان، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
38. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت: 817)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، 1301 م.
39. قانون التأويل، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، المعافري (ت: 543هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، الناشر: دار القبلة للثقافة، الإسلامية، جدة، ط1، 1406 هـ - 1986 م.
40. قواعد التوجيه في النحو العربي، رسالة دكتوراه إعداد عبد الله أنور سيد أحمد الخولي، إشراف الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
41. قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: الصدف ببلشرز - كراتشي، الطبعة: الأولى، 1407 - 1986 م.
42. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
43. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون رقم طبعه، وبدون تاريخ نشر.
44. لسان العرب لابن منظور، تحقيق عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف - القاهرة.
45. اللوحة في شرح الملحة، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: 720هـ)، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
46. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ.

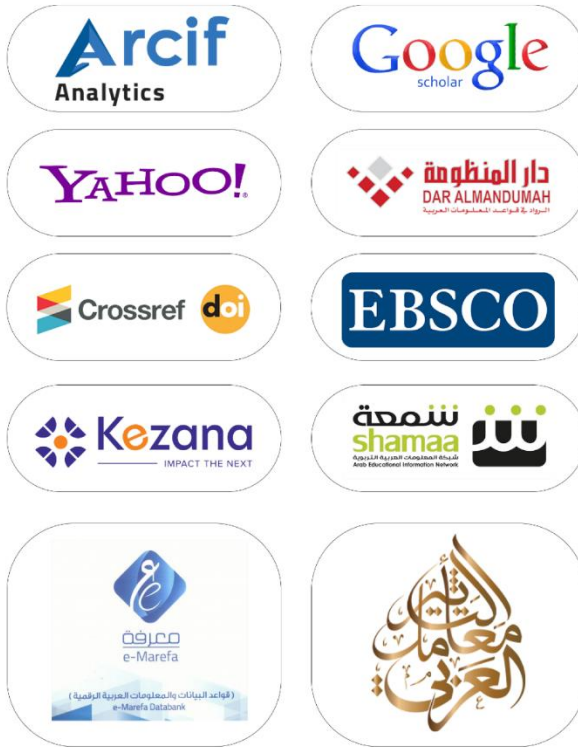
47. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ - 1999م.
48. مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار ابن القيم - دار ابن عфан، الطبعة: الأولى 1426هـ / 2005م: الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
49. المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية، على جمعة محمد عبد الوهاب، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة: الثانية - 1422 هـ - 2001 م.
50. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، بدون رقم طبعه، وبدون تاريخ نشر.
51. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م.
52. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.
53. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د/ محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر، الناشر: دار الفضيلة.
54. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة، بدون رقم طبعه، وبدون تاريخ نشر.
55. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني، الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
56. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، أبو عبد الله، التيمي، الرازي، فخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ.
57. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
58. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم الكتب - بيروت.
59. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمللي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.

60. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
61. مُوسُوعَةُ الْقَوَاعِدُ الْفَقْهِيَّةُ الْمُؤَلَّف: محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
62. موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع للدكتور شعبان صلاح، دار الثقافة العربية، ط3، 1418 هـ - 1998 م.
63. النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: 1398هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
64. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت: 1380 هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية).
65. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن، البقاعي (ت: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي